

الذكرى الواحدة والأربعون

لثورة الملك والشعب

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد من القصر الملكي بالدار البيضاء، يوم 11 ربيع الأول 1415هـ الموافق 20 غشت 1994م، خطبا إلى الأمة بمناسبة الذكرى الواحدة والأربعين لثورة الملك والشعب.

وفي ما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز.

في مثل هذا اليوم انطلق ذلك الحدث الذي جعلنا نسمي يوم عشرين غشت «ذكرى ثورة الملك والشعب». إنه شعبي العزيز حدث يجب أن لا تأخذه متفردا بل يجب علينا أن نحلله وأن نسترشده في إطار وفي قالب وفي روح وفي كنه تاريخنا المجيد، ذلك التاريخ الذي كما قلت إذا نحن ربينا أبناءنا عليه وعلى تعاليمه وإذا هم أتقنوه في المدارس لا يمكن بعد ذلك لأي مغربي أن ينكر لبلده ووطنه وأخلاق وطنه وسيرة وطنه وفضيلة وطنه.

شعبي العزيز - إن حدث عشرين غشت لم يأت بنفسه. فإذا كانت له الخميرة الضاربة أطنابها في عروق التاريخ كانت له كذلك أسباب كثيرة ومتعددة في تاريخنا القريب وبالأخص في تاريخ الحماية. فلم نقض سنتان على اتفاقية الحماية حتى بدأ المغرب يرى سلسلة ذهبية ومجيدة من الأحداث والمعارك أظهرت أولا للمغاربة أنفسهم وأظهرت للمستعمر ثانيا أن الأولين عليهم أن يجدوا ويعتزلوا وأن يصابروا في طريق التضحية وعلى الآخر ألا وهو المستعمر ألا ينام على وسادته نوم الراحة لأنه يوجد في عرين الأسود. فقلت لك - شعبي العزيز - لم نقض سنتان على إبرام اتفاقية الحماية حتى رأينا الانتفاضة الأولى وهي معركة «لهري» سنة 1914 ثم بعد سنوات وبالشبط في 1921 كانت معركة أنوال، وفي 1934 كانت معركة «بوغافر». ولم تكن تلك المعارك تقرم وحدها بل كانت تغذيها معارك أخرى تراكمها أو تسبقها أو تملؤها وهي معارك التوعية ومعارك الوطنية

ومعارك السياسة التي كان يرصعها أبنائنا وأبائنا في شدي أمهاتهم ويربهم عليها أبائهم طيب الله ثراهم كلهم.

وفي سنة 1930 بدأت الحركة الوطنية. وفي سنة 1933 بدأت تتبلور مطالب الشعب المغربي. وفي عام 1937 وقعت مظاهرات صاخبة أدت إلى ما أدت إليه. وفي 1944 كانت وثيقة الاستقلال. وفي 1953 كان منفي محمد الخامس رحمه الله من عرشه وإبعاده عن أسرته الكبرى.

وها أنت ترى شعبي العزيز أنه من 1912 إلى 1953 لم يجد المستعمر الراحة ولم يتمكن ولو من يوم واحد من الراحة. لماذا شعبي العزيز... لأن الشعب المغربي شعب تاريخي. هناك شعوب ليست تاريخية. أما شعبنا - والله الحمد - فهو تاريخي. لأن تاريخه قديم ولأنه يمارس تاريخه ولأن ممارسته لتاريخه أدت به إلى أن يصنع تاريخه. ونظرا لارتباط هذا الشعب الكريم بالله وإيمانه بكتابه واتباعه لسننه فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه كلما دعاه.

فهذه العقود والقرون التاريخية هل تميزت بها - شعبي العزيز - جهة من جهات المغرب دون أخرى. فهل كانت الأسود في الشمال دون الجنوب والغرب والشرق وهل كانت الليبرث في الجنوب دون الشرق والغرب والشمال. ونظرا كان المجاهد ينحصر في غرب المغرب. وهل كان المضحي بنفسه لا يوجد إلا بكثرة. لا. لقد كان المغاوية دائما أيضا كانوا وأينما وجدوا جنديا واحدا وقائدا واحدا وضابط صف واحد كبقيا كانت نوعياتهم وجهاتهم ولهجاتهم. نعم أقول لهجاتهم ونوعياتهم وشخصياتهم وثقافتهم المحلية ولباسهم وحضارتهم المحلية.

إن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد أعطانا بلدا جميلا رائعا وممتازا جغرافيا وبشريا فما ذاك إلا لأن جغرافيته متنوعة مثلما هو متنوع بشره.

لقد ذكرت - شعبي العزيز - لفظ اللهجات لأنني أعتبر أن تلك اللهجات التي كثر الكلام عنها إما عن صدق أو عن قلق أو عن ديمغوجية تعد من مقومات أصالتنا. فرغم أن العربية جاءت لأن القرآن جاء فلم تمح العربية لهجاتنا ولم تطفح الحضارة العربية التي جاءت من الشرق على نوعيتنا وعلى كبريتنا في الأكل واللباس والأهازيج والرقصات والبناء والتعمير بل تركت لكل جهة من جهاتنا. وها أنت تراها شعبي العزيز - أسلويا خاصا في الهندسة واسلويا خاصا متميزا في الري وشكلا غربيا متميزا في ما يخص اللباس والطبخ وعادات الزواج والاحتفال بمواسم الربيع في كل مكان.

إن اللهجات شعبي العزيز أصبحت اليوم ضرورية لأن الغرب مع الأسف غزانا حتى في بيوتنا. فلا يوجد بيت من أصل ثلاثة بيوت إن لم يكن أكثر مع الأسف الا وتسمع فيه خلطا بين العربية والفرنسية أو خلطا بين العربية والاسبانية حتى أصبحت لغات بيتنا نوعا من «الاسبرانتو» لا يفهمه إلا من يسكنه. فإذا كان الخلط واجبا فالخلط واجب ومستحب وضروري بين العربية ولهجاتنا. فأن أسمع طفلا مغربيا يخلط بين العربية الدارجة أو الفصحى وبين تاريفيت أو تامزيغت أو تاشلحيت أفضل وأشرف بالنسبة لي وأكثر مناعة بالنسبة للمستقبل من أن أسمع طفلا يتخاطب مع والديه خالطا بين العربية والفرنسية أو بين العربية والاسبانية. وإذا بقيت الأمور على هذا المنوال سنزيد حتى الانجليزية. لهذا - شعبي العزيز - اريد هنا أن اضع النقط على الحروف. فأنا خديمك المخلص لست أبدا ضد اللهجات بل أنا إنسان شغوف بالتاريخ وفلسفة التاريخ. الشيء الذي يجعلني أحلل مقومات تاريخنا. والتاريخ إن لم يكن مصنوعا من عبقریات متعددة وأصالات متنوعة وعادات يتباهى بعضها مع بعض لن يكون أبدا تاريخا بل سيصبح سلسلة من الأحداث لا يصنعها المرء بل يرغم عليها ويتحملها.

لذا يجب علينا شعبي العزيز أن نتفرض وأن نمنع هذا الخلط الذي ليس مغربيا في شيء. وإذا كان من الضروري والواجب محاربة هذا الخلط الذي اعتبره مسخا فلا بد أن يكون في التعليم الابتدائي على الأقل حصص لدراسة لهجاتنا حتى نبذل كشيء غريب من ذاتنا وتفكيرنا وأصالتنا اللغات الأجنبية في بيتنا وفي تعليم أبنائنا وبناتنا. لذلك يجب ونحن نفكر في التعليم وبرامج التعليم أن ندخل تعليم اللهجات علما منا ان تلك اللهجات قد شاركت اللغة الأم ألا وهي لغة الضاد ولغة كتاب الله سبحانه وتعالى ولغة القرآن الكريم في فعل تاريخنا وأمجادنا. نعم علينا أن نعلم أن المغرب ملكية دستورية دينها الإسلام ولغتها اللغة العربية، تلك اللغة التي بدونها لا تصح صلاة ولا يجوز صيام ولا يمكن أن يكون هناك تقاضي بين الناس ولا يكون المسلم مسلما. علينا أن نتشبه بلغة القرآن ولكن لا على حساب أصالتنا ولهجاتنا ولا سيما أن جل المغاربة إن لم يكن أغليتهم لا يمكنهم أن يقولوا انه ليس في سلالتهم أو في عرقهم أو في دمهم نصيب كثير أو قليل من الخلايا التي جاءت من ناحية ما تنطق بهذه اللهجات. فتاريخنا تاريخ مجيد - كما قلت لك شعبي العزيز - صنعناه بأنفسنا لأننا شعب تاريخي. فتاريخنا لم يكن أساسه ركن واحد بل أركان متعددة. وتلك الأركان كانت وطيدة وسليمة لأنها كانت متنوعة وصاحبة عبقرية وأصالة.

أردت في هذا اليوم - يوم الملحمة ويوم التذكير بالملاحم - أن أحلل أمامك - شعبي العزيز - أسباب تلك الملاحم وانتصارنا في تلك الملاحم. والكل في الكل لا أقول البعض في الكل. أقول الكل في الكل. فإن لم يكن كل لا يمكن أن نذكر بالكل. وانطلاقاً من هذا - شعبي العزيز - حافظ على أصالتك وعلى دينك ولغة دينك وهي العربية وحافظ على تقاليدك سواء كنت في الشمال أو في الجنوب أو في الشرق أو في الغرب. حافظ على لباسك في جهتك وقبيلتك وحافظ على لهجاتك وعلى طبخك وهندستك وأدبك وشعرك ونشرك. حافظ على هذا كله لأن مغرب اليوم لن يختلف عن مغرب الأمس ومغرب الغد لن يختلف عن مغرب اليوم. لأن المغرب في حاجة إليك شعبي العزيز كل يوم وفي كل حقبة من الأحقاب وفي كل قرن من القرون. إنه في حاجة إلى أبنائه وإلى جنوده وإلى أسوده. وإنني لأتضمن بأن يصحب هذا العيد - عيد ثورة الملك والشعب - بميلاد الرسول الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين. وهنا يمكن أن أقول أو أكرر ما قاله أحد الخطباء المعروفين «عيدان يلتقيان فبأي آلاء ربكما تكذبان».

طابت ليلتك - شعبي العزيز - وهنيئاً لك بهذه الملحمة. والدليل على ما قلت هو أن هذه الملحمة كنت مهيباً بها لتخوض ملحمة أخرى تبعثها وهي ملحمة المسيرة الخضراء. وها أنت على أبواب ملحمة الاستفتاء التأكيدي. وهكذا شعبي العزيز سوف نسير إن شاء الله من مرتبة إلى أعلاها ومن مقام إلى أشرفه حتى نكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ونؤمن بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.